

# صناعة التفكير اللغوي



تحرير: مقبل بن علي الدعدي

صناعة التفكير اللغوي



# صناعة التفكير اللغوي

أ.د. صالح بن سعيد الزهراني

د. أحمد بن جار الله الزهراني

أبو مالك العوضي

د. عبد الله بن محمد المسلمي

أ. د. سليمان بن إبراهيم العايد

تحرير

مقبل بن علي الدعدي



صناعة التفكير اللغوي  
د. أحمد بن جار الله الزهراني  
أ.د. صالح بن سعيد الزهراني  
د. عبد الله بن محمد المسملي  
أبو مالك العوضي  
أ. د. سليمان بن إبراهيم العايد

حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠١٤م / ١٤٣٥هـ

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب  
لا تعبر بالضرورة عن نظر المركز»



TAKWEEN  
للدراسات والأبحاث  
Studies and Research

Business center 2 Queen  
Caroline Street, Hammersmith,  
London W6 9DX, UK

[www.Takween-center.com](http://www.Takween-center.com)  
[info@Takween-center.com](mailto:info@Takween-center.com)

تصميم الغلاف :



+966 5 03 802 799

المملكة العربية السعودية - الخبر  
[eyadmousa@gmail.com](mailto:eyadmousa@gmail.com)

## فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
* مقدمة المحرر، مقبل بن علي الدعدي .....	٧
* المحور الأول: صناعة التجديد اللغوي .....	٢١
- التجديد النحوي: .....	٢٣
التجديد النحوي عند المحدثين قراءة في المنطلق والمنهج، د. أحمد بن جار الله الزهراني. ....	٢٥
- التجديد البلاغي: .....	٥٧
بلاغة النص وسؤال المنهج، أ. د. صالح بن سعيد الزهراني .....	٥٩
- التجديد المعجمي: .....	٧٥
جوانب التجديد في المعجم العربي الحديث، د. عبد الله بن محمد المسملي .....	٧٧
* المحور الثاني: صناعة الاستدلال اللغوي: أبو مالك العوضي .....	٩١
* المحور الثالث: صناعة البحث اللغوي: .....	١٨٥
- الرسائل الجامعية في أقسام اللغة العربية «الواقع والتطلعات»، أ. د. سليمان بن إبراهيم العايد .....	١٨٧

المحور الأول

صناعة التجديد اللغوي





# صناعة التجديد النحوي



# التجديد النحوي عند المحدثين

(قراءة في المنطلق والمنهج)

كتبه: د. أحمد بن جار الله الزهراني<sup>(١)</sup>

---

(١) قسم اللغة العربية، جامعة أم القرى.



## مقدمة

الاتجاهات التي مرَّ بها النحو العربي هي:

١ - الاتجاه التتبعي:

عُني هذا الاتجاه ببيان توحيد الأصل وإتمام البناء، حيث قام على التكاملية؛ لأن مفهوم التجديد عند قدامى النحويين يتجه نحو معالجة القضايا، فلا نجد الطور الثاني ينقض ما بُني في الطور الأول، بل يكمل في نسق تنظيمي مستمر حتى وصل إلى مرحلة الاكتمال، ثم انتقاله من الطور الفردي إلى طور المؤسسات.

ف (الكتاب) لسيبويه يمثل مرحلة تاريخية، و(المقتضب) للمبرد يُمثل مرحلة الإيضاح والتقريب والتحرير، و(الأصول) في النحو لابن السراج يمثل الترتيب المنهجي، وعلى نفس المنهجية سار (المفصل) للزمخشري.

٢ - الاتجاه الاستقلالي:

بدأت بذور هذا المنهج عند ابن الطراوة، من نحاة الأندلس في مسائل عامة منها:

- أ - نفوره من التقديرات.
- ب - نقد الأمثلة المصنوعة.
- ج - إبطال بعض العلل النحوية.
- د - إعادة النظر في قضايا الدرس النحوي.

فاستقلالية الرأي في القضايا النحوية علامة خروج عن المنظومة التي سار فيها التطور النحوي في منهجه التابعي، وسار على منهجه تلميذه السهيلي، ومن المعلوم أن هذه الجراءة في الخروج على منهجية النحاة التابعة قد وُجد صداها بصورة متكاملة عند ابن مضاء القرطبي.

### ٣ - اتجاه الفصل التاريخي:

تبني أصحاب هذا الاتجاه مشروع القطيعة مع الموروث في منهجيات مختلفة متخذة من نقد التراث النحوي هدفاً لهدم أصوله النظرية، وهي لم تكف بالقراءة الداخلية للتراث، بل استمدت أسسها من قراءة خارجية حفرت أصحابها على نقض الثوابت، وسلكوا منهجاً جديداً - لتفكيك الماضي، ويمثل ذلك كتاب (إحياء النحو) فهو أول مقارنة نقدية شاملة للتراث النحوي، وهو لذلك منهج أساسي في تاريخ التفكير اللغوي الحديث بالنظر إلى من سبقه، وخاصة بالنظر إلى من لحق به من الباحثين الذين يرددون الكثير من أهدافه، فمؤلفه إبراهيم مصطفى، ومن تأثر به من نقاد النحو العربي في العصر الحديث يرون أن القواعد سابقة على الاستعمال فسلطت قسراً عليه، وما علموا أن هذه الأصول التي نقدوا فيها النحاة تنظم نقاشهم وتضمن وحدة صناعتهم، وأن العوامل ذات أثر كبير في ترتيب المادة اللغوية الموصوفة، التي تحافظ على استمرارها، وبها يدرك الغائب ما قصده الشاهد، وليس من سلطان النحاة، كما توهم إبراهيم مصطفى وإبراهيم أنيس ومن تأثر بهما.

وينظرة المجددين إلى جهد النحاة لم يفرقوا بين ما يفرضه الأفراد، وما يفرضه طبيعة الاستعمال الجمعي للأمة من خلال استقراء لغتها.

## منطلقات التجديد النحوي عند المحدثين

تجاوز عوامل التجديد النحوي في العصر الحديث يعيق فهمها ويخرجها عن سياقاتها الإجرائية، ولعل أبرز تلك العوامل التحول التاريخي للمجتمع حيث تولد عنه تطورات وتقلبات فكرية واقتصادية وسياسة ارتبط بها التجديد النحوي في تنكره للوضع التقليدي باعتباره عتبة معيقة للتقدم الثقافي ونشد الحل في الانحياز لإنجازات مضادة يرى فيها حلاً لأزمة العصر دون الالتفات إلى الدواعي الحقيقية، ومحاولة تقديم الإجابة للخروج منها، وترتب على تلك الرؤية اختلال في المقاصد وفصل الحاضر عن الماضي، وفق منظومات خارجة عن محيطه تحت سيطرة قاعدة البحث الآتية، ومحاولة ملائمة التراث لدواعي اجتماعية وما يفرضه الواقع ومرد ذلك هو الخلط بين مقتضيات البحوث النظرية والبحوث التطبيقية يتمثل ذلك في اصطناع صعوبة فهم اللغة في مادتها المتكلمة ومادتها الواصفة وتغيب العصور الواضح لمقتضيات الواقع وما عليه المناخ الفكري من أمور تستدعي الوقوف وشرح المعوقات والأسباب.

## عوامل دعوات التجديد اللغوي ومقاصدها

لدعوات التجديد عوامل هيأت لظهورها، وتجاوزها (العوامل) يُعد عائناً لفهم شروطها ويخرجها عن سياقاتها الإجرائية، ولعل من أبرز تلك العوامل التحول التاريخي للمجتمع، والوقوف به عند نقطة التقاء أطلق عليها نقطة الصفر وإقامة حد بين عهدين لم يبق ما يسوغ اتصالهما<sup>(١)</sup>، ومن المعقول أن دعوات التجديد هي نتاج لتطورات وتقلبات فكرية؛ كأثار عصر النهضة، والتجديد الديني وعصر التنوير، وهيمنة العقل المجرّد.

ومرحلة الوضعية المنطقية والفلسفة الوجودية، والتغيرات الاجتماعية والتيارات المختلفة والتحوّلات السياسية، كل ذلك ألقى بظلاله على الجانب اللغوي خصوصاً.

فالتجديد اللغوي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمقومات الفكرية والعقائدية والمعرفية، ودائماً ترافق التغيرات العميقة في البيئة الاجتماعية تغيرات مهمة في المجال الفكري والأيدولوجي، وتلعب دوراً مهماً في تجديد حياة المجتمع<sup>(٢)</sup> ورفض الوضع السائد والانحياز إلى التغريب من الناحية المنهجية. ومرد ذلك إلى:

- الاضطراب في الوضع الحضاري.

(١) صدمة الحدّاة، أدونيس، الثابت والمتحول (ص٧٧)، نقلاً عن مقدمة الديوان.

(٢) ينظر: المدخل إلى الآداب الأوروبية، فؤاد المرعي (ص١٧٧).



- وتعتيم الأفق السياسي والفكري .

- غياب الصورة المتكاملة للجذور التاريخية ومددها التراثي .

لهذا الأسباب لجأ رواد التجديد إلى نموذج حضاري مائل له من القوة والهيمنة على مقدرات الشعوب حضور ومنشأ الانخراط في النموذج الحضاري هو المقارنة بين الحضارتين، واستشعار التناقض بينهما أدى إلى شيوع التخبط والاضطراب في أفكار جيل النهضة، والقلق في مقولاتهم ومفاهيمهم مما يصعب على الباحث أن يحدد وجهة بعينها تكون محور التفكير الجيل التجديد .

«لأن الحس المشهود يؤكد بأن صاحب الفكر غالباً ما يتخير المداخل التي ينفذ بها إلى غرض فكرته بالصورة التي تحتل أوجهاً عدة في اللحظات التي يكون فيه الواقع بالغ التعقيد»<sup>(١)</sup> .

فماذا يطلق على مخرجات نهضتنا؟ أتجدد أم تأسيس يرتكز على

المشتركات؟

إذا كان تجديداً فينبغي أن يكون إعادة عرض، ولكن الذي نراه في التجديد «لم يكن يدل على إحياء القيم الإسلامية الأصلية للبناء عليها ونقض ما علق بها من ضلالات القرون والاستجابة الإيجابية القوية للتحدي الأجنبي يرفض هيمنة، وحفظ الفواصل معه، ثم مسابقتها في ميادين تفوقه التقنية والعملية وإنما تحول اصطلاح التجديد إلى إفادة معنى التعايش مع التفوق الغربي» .

(١) جذور الانحراف، جمال سلطان (ص٦٦).

## دواعي التجديد

ربط التجديد بحاجة الحياة الحضارية، والسياسة والاجتماعية التي عاقتها الأساليب اللغوية وحالت دون مسايرة متطلبات العصر مقصد لحل أزمة العصر، هكذا زعموا، ولم يلتفتوا إلى الدواعي الحقيقية ومحاولة معالجتها وتوجه التجديد إلى الخروج على التاريخي حتى يحصل التمكن من اختلاف المقاصد، وفصل الحاضر عن الماضي كونه مرحلة تاريخية شارفت على نهايتها لكي تبدأ المرحلة التالية لها، في حالة خلط بين مقتضيات البحوث النظرية والبحوث التطبيقية يتبين ذلك من حيث غُيب التصور الواضح لمقتضيات الواقع وما عليه المناخ الفكري من أمور تستدعي الوقوف وشرح المقومات والأسباب منها:

### ١ - أغراض سياسية:

إن توسع الإمبراطورية الإسلامية أدى إلى التربص بها، وبذل ما يكون سبباً في إطاحتها، وكانت الوسيلة الوحيدة لتفكيكها ما يُكَوِّن فكرها (اللغة) ولذلك أثاروا البلبلة للوصول إلى الفصل بين اللغة والسلطة ليحدثوا تفكيكاً لأبناء بعده؛ لأن اللغة «هي الأساس في شعور الجماعة بانتماء بعضهم إلى بعض واشتراكهم في نفس الذكريات سواء كانت تاريخية او ثقافية»<sup>(١)</sup>.

(١) اللغة بين القومية والعربية، إبراهيم أنيس (ص ١٠١).

وهي أعلى ما تملكه الأمة يقول هردر: «وهل لشعب ما حتى لو كان شعباً جاهلاً متخلفاً ثروة أئمن من لغة أجداده؟».

في تلك اللغة تكمن كل ذخائره، الفكر، والتقاليد والتاريخ، والفلسفة والدين، وفيها ينبض قلب الشعب، ويتحرك رוחه وأن من ينتزع من مثل هذا الشعب لغته أو يقصر في احترامها يحرمه من ثروته الوحيدة التي لا تعرف البلى، والتي تنتقل من الآباء إلى الأبناء، وعلى مرّ الأجيال والعصور<sup>(١)</sup>.

وقد استعمل التخطيط اللغوي بقصد التفريق بين أبناء الأمة الواحدة حيث اختيرت اللغة لتسديد سهام التفكير، فقد عاملها الأوروبيون بطريقتين مختلفتين لتحقيق غرضين مختلفين، غرض التوحيد وغرض التفريق، فهم من أجل تفريق الأمة الإسلامية إلى أمم وقوميات يسهل التعامل معها مفردة، ودحرها فكرياً وعسكرياً، شجعوا للأتراك من خلال الجمعية التي تأسست في باريس أولاً باسم (الاتحاد والترقي) أو (تركيب القناة)... على الاعتزاز بقوميتهم وتعميم لغتهم وفرضهما على القوميات الأخرى فيما عرف بساسة التتريك التي طبقوها عندما استولوا على الحكم... ولكنهم في الوقت نفسه ومن أجل توحيد العرب ضد الأتراك على أساس قوميتهم العربية عملوا مع الموالين لهم... على تشجيع اللغة العربية<sup>(٢)</sup>.

في المؤتمر الذي عقد في باريس عام ١٩١٣م هذا المؤتمر شجعتة فرنسا... وكان من قراراته: أن اللغة العربية يجب أن تكون معتبرة في مجلس النواب العثماني، ويجب أن يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية.

## ٢ - أهداف استعمارية:

حاول المستعمر «أن يفصل الشعوب العربية الإسلامية عن ماضيها

(١) السابق (ص ١٠٧).

(٢) عصر النهضة بين الحقيقة والوهم (١/٩٨).

محاوياً إقناعه بأنها قاصرة عن إنتاج ثقافة حاضراً أو مستقبلاً<sup>(١)</sup> من خلال محاولة المستعمر تحطيم نفوس رعاياه من خلال تشويه الثقافة والحط من شأنها، رأى أن تقطيع أوصال العرب المسلمين لا يمكن أن يتم ما دام هناك (لغة واحدة) يتكلمها العرب.. ومادام هناك (حرف عربي) يربط حاضراً المسلمين بترائهم الماضي فإذا حمل المبشرون والمستعمرون العرب على الكتابة باللغة العامية أصبح لكل قطر عربي لغة خاصة بها ولغات متعددة، ثم إذا هم استطاعوا أن يحملوا المسلمين عن التخلي عن الحرف العربي، وإحلال اللاتيني مكانه انقطعت صلة العرب تماماً بأدبهم القديم، وبالمؤلفات الدينية واللغوية والأدبية والتاريخية والفكرية، حينئذ يصبح العرب (وحدات) لغوية فكرية غير متعاونة ثم تتنافر هذه الوحدات مع الزمن فيسهل إخضاعها بجهد أيسر من الجهد الذي تحتاج إليه هذه الغاية<sup>(٢)</sup>.

### ٣ - تنظيم التعليم في سياسة الاستعمار:

أسس المستعمر معاهد لتعليم أبناء المستعمرون، ولكن في ظل سياسته التعليمية السلبية وهي تقليل المتعلمين، وكان تعليمه لهم بحسب ما تقتضيه حاجته وفق غرضين أساسيين:

الأول: استخدامهم في مصالح الحكومة المستعمرة.

الثاني: أن يقترن الفتح السياسي بفتح معنوي، وذلك بالعمل على تحييب الدولة المستعمرة وللمحافظة على خططه لإبعاد الأمة عن مقومات حياتها الفكرية، اتبع الخطط الآتية:

- ١ - حظروا التعليم بالعربية في غير الكتابات.
- ٢ - سعوا إلى نشر لغتهم بين الناس بكل الوسائل الممكنة.

(١) ينظر: الأعمال القومية - محاضرات في نشوء الفكرة القومية (ص ١٣٩).

(٢) التبشير والاستعمار، مصطفى خالدي وعمر فروخ (ص ٢١٨).

٣ - وضعوا الخطط والمناهج اللازمة لتعليم الأطفال والشبان تعليماً ينشئ في نفوسهم حباً قوياً نحو المستعمر<sup>(١)</sup>.

٤ - التعليم من غير تثقيف «قال رجال الاستعمار: يجب أن نعلم أولاد المستعمرات من غير أن نثقفهم، يجب علينا أن نعلمهم تعليماً يجعلهم آلات صالحة في المعامل والمتاجر والحقول من غير أن نوسع آفاق أنظارتهم وأفكارهم إلى ما وراء الأعمال المطلوبة منهم»<sup>(٢)</sup>.

لقد فكّر المستعمرون أن اللغة العربية التي تعيل البلاد العربية بعضها ببعض، وهي التي تنقل الأفكار والنزعات من قطر إلى آخر، فإذا توقفت حركة نشر اللغة العربية في البلاد العربية وقامت فيها - بعكس ذلك حركة جديدة ترمي إلى إنعاش وتدعيم اللغات العامية لا بد من أن يصبح بعد مدة كل قطر من الأقطار العربية ذا لغة خاصة به فيزول بذلك خطر انتشار فكرة الاستقلال كما ينتقض احتمال قيام فكرة الاتحاد بين مختلف الأقطار العربية، وقد وجدت هذه الفكرة قبولاً حسناً في المحافل الإنجليزية والفرنسية على حدّ سواء، وأخذ القوم يتحمسون لها ويبثون الدعاية للغات في كل البلاد العربية... ومما زاد في قوة هذه الدعاية أنها استطاعت أن تتقنع بقناع خداع هو فكرة نشر التعليم بين طبقات الشعب.

قالوا: لا بد من نشر التعليم بين جميع أبناء الشعب، والشعب لا يعرف شيئاً عن اللغة الفصحى، فلماذا لا نكف عن محاولة تعليمه باللغة الفصحى؟

لماذا لا نعلم إلى تعليمه باللغة العامية؟

لماذا نضيع على أبناء الشعب أوقاتاً ثمينة؟

لماذا لا نوفر عليه كثيراً من الجود والمسافة؟

ولذلك وجدت فكرة اللغة العامية بعض الأنصار مع أنها وليدة الاستعمار<sup>(٣)</sup>.

(١) الأعمال القومية، ساطع الحصري، أحداث في التربية (ص ٨٦ - ٨٨).

(٢) السابق.

(٣) ينظر: الأعمال القومية - محاضرات ومقالات (ص ٩٠).

وبعد أن تسيبوا في جهل الشعب حتى فصلوه عن تراثه بدؤوا يهتمون بتعليمه لكي يتنكر لتراثه وحدث الانفصام بين اللغة ونظامها الموحد، وهذا ما هدف إليه المستعمر؛ لأنه هو المتسبب في إسقاط حلقة من حلقات تاريخ الأمة.

وكان لهذا الهدف صده، من ذلك اقتراح المقتطف أن تكتب العلوم باللغة التي يتكلمها الناس.

اقترح ولمر: لغة القاهرة وقواعدها، واقترح اتخاذها لغة للعلم السير ولیم، ولكوكس: نادى بهجر اللغة العربية واتخاذ اللغة المصرية بديلاً لها. وجدت هذه الاقتراحات من انبرى لها ونادى بها (لويس عوض، وسلامة موسى، وسعيد عقل).

## تراجع تكتيكي

كانت موجة الدفاع ضد العامية قوية؛ فاستدعى ذلك التراجع التكتيكي بمحاولة زحزحة النحو بمزاحمته بالنظريات اللسانية، تولى ذلك المبتعثون تقليداً للمدارس التي ابتعثوا إليها، مع اختلاف في المنهج والتكوين مع عدم وضوح الرؤية حول صلة ما طرحوه والمناهج التي انتهجوها بواقع المجتمعات العربية، فليس بإمكانهم وضع الأسس ما كان دورهم متوقفاً على استيرادها. فالتجديد أنتجته ظروف تباعدت معطياتها عن معطيات البلاد العربية، كان في أصوله الغربية حركة احتجاج وثورة على وقع سائد، ومع ذلك فرض حصاراً أدبياً وثقافياً على الذهنية العربية نظراً كثيراً الى محاكاته.

## تقليد (المشروع التغريبي)

توجه أصحاب التجديد اللغوي إلى هدم مرتكزات اللغة وما هدمت مرتكزاته يستحيل إمكانية بنائه، فكيف يتم لهم ذلك؟ لا طريق إلا القراءة الخارجية ومحاكاة التراث اللغوي على ضوءها بغية إصلاحه، وإعادة النظر فيه أصبحت ضرورة ملحة، ومهمة أساسية من مقتضيات عصرنا ومستلزمات نهضتنا، وذهبوا في هذا النقد مذاهب شتى وتباينوا في تشخيص هذه العيوب وتعيين طرق الإصلاح تبايناً يجعل الباحث يتساءل عن قيمة الأسس التي اعتمدها ومدى سلامتها.

وسبب هذا التباين اتصاف تلك للممارسة التجديدية بـ<sup>(١)</sup>:

١ - قلة التنظير للممارسة العلمية.

٢ - عدم وعي الباحث (المجدد) بالمسلّمات التي ينطلق منها وعدم تفكره فيما يقتضيه التسليم بها من مستلزمات، ونتائج فرعية<sup>(٢)</sup>. لأن لكل تنظير سياقاً فلسفياً وسياقاً إجرائياً وتجريد النظرية من سياقها الفلسفي يستدعي تجريده من سياقها الإجرائي، وتوظيفها بسياقها الفلسفي يستدعي إجراءها، سياقها الإجرائي وهذا ما لم ينتبه له المجددون حينما خلطوا بين التنظير والتطبيق، وكانت نتيجة ذلك اختلاف اتجاهات تحليل التراكيب واتجاهات تجديد النحو:

(١) المنوال النحوي العربي، عز الدين مجدوب (ص ١٢).

(٢) السابق.



## ١ - الاتجاه الإحيائي :

حاول أصحاب هذا الاتجاه البحث عن البديل من التراث بالاستناد إلى الكليات وفق أصول تفسيره إجمالية من خلال توجيه نقد لمعطيات النحو وإلغاء أبوابه وتفصيلاته وقضاياه المفسرة لوظائفه أهمها قضية العامل، وسار أصحاب هذا الاتجاه في محاولة تحديد المعاني الوظيفية للحركات الإعرابية في طرق شتى ونزعات متباينة. وسأجمل الحديث عن هذا الاتجاه في النقاط التالية:

### الهدف من التجديد:

يرى المجددون الإحيائيون أن النحو اتصف بالجمود وعدم التطور وانقطاع الإبداع، والغموض والاستبهام؛ لأن قواعده سُيرت دون عرضها على النصوص، وسعوا إلى تقليل القواعد وانتقاء الشواهد.

### - النحو معنى ووظيفة:

يرى المجددون أن النحو خرج عن وظيفته، وانحاز إلى جانب من جوانب اللغة وهو علم الإعراب، وتبين للباحث أنه جاء اعتراضهم بما اهتم به النحو، وهو من صميم وظيفته، فتحديد الكلمة داخل التركيب يتم عن طريق إعرابها، فالنحاة لم يهتموا الوظيفة النحوية التي يراها المجددون؛ لأن الضوابط النحوية مفسرة لائتلاف الكلام وتكوّن الجمل، وتناسق العبارات، فالألفاظ الناقلة للفكر متناهية، أما المعاني فليست متناهية، وقد يتناول تركيب لغوي غير معنى إذا لم يحدّد بنظام لغوي صارم يوجه التركيب لمعنى مقصود، وتكفل بذلك كله النحو.

### - الحركة الإعرابية والمعنى:

العلامة الإعرابية تجتلب لتفسير اختلاف التراكيب في الأسماء والأفعال، وقد فسرت الحركة الإعرابية تفسيراً إجرائياً مبنياً على استقرار الاستخدام الجمعي للغة، وقيام رابطة وثيقة بين الحركة واختلاف المعنى، فقد يتغير معنى اللفظ لتغير حركته، في تركيب ما.

## - الوظائف النحوية:

من خلال النقد الموجه ونقض معطيات النحو العربي وإلغاء أبوابه وتفصيلاته وقضاياه المفسرة لوظائفه يتوصل المجددون إلى وضع كليات للوظائف النحوية وإلغاء التفصيلات التي عُني بها النحو العربي، وساروا في محاولة تحديد وظائف الحركات الإعرابية في طرق شتى ونزعات متباينة؛ لأنهم توقعوا أن النتائج الفكرية متوقف على صُنع المبادئ وفرضها على مستعملي اللغة، وقد حاولت الدراسة أن تجمع الأفكار التجديدية، وتوصلت إلى أنهم أرادوا حصر الوظائف النحوية على النحو التالي:

### باب المرفوعات:

حصرت المرفوعات في الأصول التالية:

- ١ - الضمة علم الإسناد ودليل على أن الكلمة المرفوعة يُراد أن يسند إليها ويتحدث عنها.
- ٢ - العمدة الذي لا يقوم الكلام بدونه.
- ٣ - لا تعتمد الكلمة في تحديد معناها على العلامة الإعرابية، بل على موقعها في التركيب (تحليلية شكلية).
- ٤ - العلامة ليست تفسيراً لمعنى، وترجع الناحية التفسيرية للفظ على حسب الموقعية لا الحركة الإعرابية، ولا بأس أن يأخذ الموقع غير حركة.
- ٥ - كل اسم وقع في دائرة الرفع مخبر عنه وما أسند إليه خبر قُدم أو أُخر على حسب إرادة المتكلم.
- ٦ - خضوع العلامات لأطوار الفعلية (نظرية الفعلية) تقول: العمدة للمرفوعات كافة.
- ٧ - نظرية مراتب الإعراب وأحواله (العمدة مرتبة المرفوعات).
- ٨ - ترجع الناحية التفسيرية للفظ على حسب الموقعية.
- ٩ - اقتراح المخبر عنه والخبر.

١٠ - وسائل النهوض باللغة العربية يعني ذلك اختصار النحو وإدماج مواد  
الواحدة في الأخرى.

وبعد دراسة هذه الأصول والتطبيق عليها تبين لي عدم استيفاء الأصول  
الإحيائية لشروط النظرية، وأثبت أن أصول الصناعة النحوية التقليدية عملية  
تفسيرية للأحكام التركيبية المستعملة، ولذلك اقتضت الشمول والموافقة لما  
استقام نظمه من الكلام، وعدم اشتغال الأصل لعناصر تحقق سلامة المبنى  
المؤدية لصحة سلامة المعنى يحقق عجزه والأخذ به ضرب من المغالطة  
والهذيان، والمتأمل في الأصول التجديدية الإحيائية يجدها قاصرة عن  
استيعاب التفاصيل التي عالجها النحو التقليدي المحققة لسلامة المعنى،  
والمتبع لهذه الأصول يجد الآتي:

#### ١ - الضمة علم الإسناد:

من المعلوم أن قضية الإسناد كلية جامعة قام عليها النظام النحوي،  
وهي شاملة لأنواع الفاعل، إلا أن أصحاب هذا الرأي اقتصروا على جزء  
من وظيفتها فلا يدخل في الإسناد إلا ما كان علامته الضمة، وأخرجوا ما  
لم تظهر عليه الضمة، وهو في حكم الإسناد، فهذا الأصل قاصر عن  
اشتغال أنواع الفاعل، فضلاً عن المبتدأ والخبر من المرفوعات، وبهذا  
وضح خلله.

#### ٢ - قانون الفعالية:

الحركة الإعرابية أثر يجلبه اللفظ ليؤثر في لفظ آخر، ظاهراً كان هذا  
الأثر أو مقدراً، وهذا القانون يعطي تفسيراً اختيارياً وفقاً للترتيب التنازلي  
ليحقق رغبة المتكلم في التعبير عن الفعاليات المختلفة، فما ظهرت عليه  
الضمة حققت رغبة المتكلم في قوة الفاعلية، وحُصت بـ(العمدة) من الكلام،  
ويهمل ما كان عمدة، ولم تظهر عليه الضمة، والرابط بين الحركة الإعرابية  
والفاعلية أمر ذهني يحتاج إلى برهان. إذاً فهذا القانون ينقصه الشمول،  
والاطراد، والقدرة على التفسير.

#### ٣ - نظرية مراتب الإعراب:

أعلى المراتب في الوظائف النحوية مرتبة الرفع، فعلى المتكلم أن ينظر لمكانة الكلمة ومرتبها لا للوظيفة التي يحددها التركيب، فالعمدة ما ارتفعت مكانته، وعلامته الضمة، وهي علامة الرفع الجهة الجامعة التي تعني أن الاسم في المكان الرفيع، وما لم تظهر عليه الضمة، والكلام لا يقوم بدونه، ولا يكون المعنى إلا بوجوده فلا يطرد في هذه النظرية.

أما المرفوع فإذا كان المسند والمسند إليه اسمين تجرد من الزمن فهو الجملة الاسمية، أما ما كان المسند فيه فعلاً فتقديمه وتأخيرها سواء؛ لأن القصد إلى الإسناد المقيد بزمن.

#### ٤ - الطريقة التحليلية الشكلية:

مرونة العربية أعطت حرية انتقال الموضع إذا أمن اللبس في بعض تراكيبها التي لا تشكل جزءاً مما ارتبطت به كالمبتدأ، والمفعول به فالترتيب في جملها ليس ملزماً في حدود ما تقتضيه أصول الصناعة، أما الفاعل مع فعله فظاهرة التلازم حتمية فموضع الفاعل بعد فعله؛ لأنهما كالكلمة الواحدة يترتب على تقديم عجزها على صدرها تغيير للمعنى المقصود منها، فالتركيب الاسمي في الجملة الفعلية تقديمه وتأخيرها ليس لمجرد اختلاف الموضع، بل اختلاف المفهوم من التركيب الجملي بين (محمد قام) و(قام محمد).

#### ٥ - المنهج الوصفي الواقعي:

الفكر لا تستوعبه القوالب اللفظية المجردة، وحرية اللغة تكفلت بإظهار المعاني

المستوحاة من تراكيبها، فتقديم لفظ في التركيب يحمل مدلولاً غير ما يحمله المتأخر، والواقعية لا تعطى ما يدور في ذهن المستعمل للنظام اللغوي، ولا تبني منهجاً يُسار عليه، فالمستعمل يذكر حيث يتطلب الذكر، ويحذف اعتماداً على إدراك المخاطب للمحذوف ذهنياً، وهذا ما اضطرب فيه المنهج الوصفي الواقعي، ولم يتحمل تفسيره فبادر بتقسيمه للجملة إلى إسنادية وغير إسنادية.

ورأى الباحث أن الأصول التجديدية لا تفرق بين ركني التركيب الفعلي والاسمي؛ لأن مركزية الركن الثاني من مكونات التركيب الفعلي التالية، أما مركزية الركن الأول من مكونات التركيب الاسمي متقدمة، وبعكس مركزية المكون الفعلي ينقلب التكوين الفعلي إلى تكوين اسمي، وللإبقاء على التركيب الفعلي لا بد من المحافظة على مركزية كل ركن من أركانه.

بهذا يتضح عدم صلاحية الأصول التجديدية لافتقارها لأهم عناصر تكوين النظرية العلمية؛ لأنها اعتمدت على دمج الأبواب، والاستعمال اللغوي يقتضي تفرعات وتقسيمات لكل باب نحوي؛ لأن كل تركيب ما هو إلا صورة عمّا في ذهن المتكلم من معنى، وعليه فإن استقرار النظام النحوي لم يكن عفويًا، وإنما وضعت أحكامه وفق منهجية نُظِم سلامة النطق والمعنى، أما المجددون فقد أطلقوا أحكامهم، ووضعوا أصولهم غير عابئين بأصل التركيب، ولم يتنبهوا إلى أن الاسم لفظ يدل على معنى بذاته يقوم في ذهن السامع تصويره وتصور معناه، وفي منظومة المرفوعات تحدد وظيفة الاسم من خلال مركزيته في التركيب وارتباطها بالمعنى المقصود عند المتكلم والمتعلق بذهن السامع.

ولكن المجددين يرفضون التفريق بين المرفوعات، وهدفوا إلى دمج وضم الأبواب المتشعبة المعنى تحت باب واحد. كما توصلت الدراسة إلى أن المجددين لم يدركوا العلاقة بين المرفوعات، ولم يأخذوا في الاعتبار أن المركب الفعلي يشترك فيه المتكلم والمخاطب في الحكم، ويفترقان في معرفة المحكوم له، حيث يختص بها المتكلم، فإذا أفيد بها المخاطب اشتركا في الفائدة.

والمركب الاسمي يشترك طرفا الخطاب في الركن الأول منه. (المحكوم عليه) ويفترقان في الحكم، حيث يختص به المتكلم ويجهله المخاطب، وبإفادة المتكلم عن المحكوم عليه تتم الفائدة بينهما.

المنصوبات:

حُصرت في الأصول التالية:

- ١ - الفتحة ليست بعلم إعراب.
- ٢ - رمز لضعف الفعلية.
- ٣ - النصب هو المرتبة الثانية من مراتب الإعراب.
- ٤ - المنصوب تكملة الخبر: حيث يكفي في النصب أن لا يكون الاسم متحدثاً عنه ولا خبراً له، ولا مجروراً، ولا وصفاً، ولا معطوفاً على مجرور أو مرفوع.
- ٥ - ما يؤدي وظيفة نحوية وما لا يؤديها.

توصلت الدراسة إلى أن أصول التجديد في المنصوبات تدور حول معنيين من الإعراب هما: الإسناد والإضافة، وإهمال ما عداهما، وعدم البحث عن أسبابه التفصيلية المحددة للمفهوم الذي من أجله نُصب الاسم، وبمعرفتها يكشف عن المعاني التي تترتب على معرفتها المفارقة بين منصوب ومنصوب، فليس كل المنصوبات على درجة واحدة حتى يُكتفى بضمها تحت مصطلح واحد كما يراه المجددون؛ لأن لكل منصوب في تركيب ما بُعداً دلالياً لا يكشفه المصطلح القائم على سطحية لفظية تشكلت في الفضلة والتكملة أو الخروج عن المتحدث عنه أو المضاف إليه، بل يكشف مفهوم المنصوب وجود تكاملية بين الأسس الضرورية لما استقام نظمه؛ وهي الحركة والترتيب، والمؤثر للحركة، فكل أثر لفظي ناتج عن مؤثر تركيبى يحدد الوظيفة النحوية المستنبطة من المعنى المقصود من التركيب، ويترتب على الوظيفة النحوية إصدار حكم. إذ لولا الوظائف النحوية لما فُرق بين منصوب ومنصوب في الحكم ولاختلطت المفاهيم، ومن أسباب ذلك عدم إدراك المجددين للارتباط الوثيق بين الضمة والفتحة، حيث سلك مصنفو النحو مسلكاً عجيباً، حيث بدأت مصنفتهم بمكونات الكلام، وبيان ما يعرب وما يبنى ثم الدخول في نظام التراكيب، وقسمت التراكيب وفق حركات الإعراب: الضمة وما ينوب عنها، والفتحة وما ينوب عنها، والكسرة وما ينوب عنها، وباستعراض أصول الصناعة اللفظية وُجد تناسب بين المرفوع والمنصوب، حيث لا يمكن وجود منصوب إلا إثر مرفوع - باستثناء العوارض الناصبة

الداخلة على الجملة الاسمية - في الرتبة، فمركزية التركيب المشتمل على منصوب الرفع.

### أبواب المنصوبات:

الاكتفاء بإطلاق الحكم مجرداً من الضوابط يؤدي خلافاً في مجريات النظام اللُّغوي، فالقول بأن الفتحة ليست بعلم إعراب، وأن ما خرج عن الإسناد والإضافة يكون حتماً منصوباً، مردود لخلوه من الضوابط المفصلة والمبينة للغرض الذي من أجله يأتي الاسم منصوباً؛ لأن النصب وظيفته وضعت وضعاً واحداً لكثير غير محصور مستغرق لجميع ما يصلح له، فدلالة الحركات الإعرابية على مدلولاتها دلالة التزامية فحركة النصب تستدعي التركيب الملازم للمنصوب في الذهن، فعندما ترى الحركة بارزة يكفي للحكم باللزوم فيه تصور المتلازمين معاً، ويتضح من دلالة الحركة على الحكم مفهوم الموافقة بين الدال والمدلول، فالضمة تُفهم أن الحكم المقرر للفظ هو الرفع، وفيه ملمح ارتباط تركيبى، كذلك الفتحة أو ما في حكمها تشير إلى الحكم بالنصب مع وجود ملمح للربط بينها وبين ما يُلزم حدوثها، حيث يفهم من وجودها وجود تركيب إسنادي يستدعيها لاكتمال المعنى، والفروق بين المنصوبات توضح المعنى المقصود.

### المجرورات:

حصرت في الأصول التالية:

- ١ - الكسرة علم الإضافة.
- ٢ - إضافة مباشرة وإضافة بواسطة.
- ٣ - الوسيط في المشاركة بالفعالية.
- ٤ - الدنو وهو علم الإضافة.
- ٥ - الاعتماد على الحسن اللُّغوي.

تبيّن للباحث أن المجددين حملوا على القدماء تقسيمهم للظاهرة الإعرابية بناء على ما يقتضي ظهورها، ويرون أنهم لم يعنوا بتصويرها للمعاني

وتصرف العرب فيها، وكان من المفترض أن يقدموا توضيحاً للظاهرة يكون مُؤقفاً بين التفسير اللفظي والمعنى، والواضح من أصولهم أنها تهتم باللفظ دون المعنى، حيث إن الاكتفاء بإطلاق الكسرة علم الإضافة، وكل مجرور يكون مضافاً إليه، وتقسيمهم للإضافة بين المباشرة وغير المباشرة، وإطلاق مصطلح الوسيط على كل مجرور ووقوعها في أدنى مرتبة، وعدم خصوصية الإعراب بألفاظ معينة من اللغة، فهذا ضرب من التعميم لا يكشف عن المعاني التي تؤديها وظيفة المجرورات، وليس فيه مجال للإقناع بما تنطوي عليه من أسرار التراكيب التي ترد فيها؛ لأن للجرا أبعاداً دلالية على النحو التالي:

١ - من حيث اللفظ والمعنى.

يتم ذلك بوجود ارتباط بين مفردات التركيب بحيث لا يتم المعنى إلا باكتمالها سواء كان ذلك بالأداة الظاهرة أم بالمقدرة. مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ والخلق عباد الله.

٢ - من حيث اللفظ من دون المعنى.

مثل: ما قام من رجل.

٣ - من حيث الموقع من دون المعنى.

لا بد من أن تكون الإضافة إلى غير المضاف، وأما ما ظاهره إضافة الموصوف إلى صفته فمؤول أنه أضيف إلى صفة محذوفة، من ذلك: بقلة الحمقاء؛ إذ التقدير بقلة الحجة الحمقاء.

٤ - من حيث المعنى من دون اللفظ.

يحذف المضاف وينسى فيأخذ المضاف إليه حكمه، وإن بقي معناه، من ذلك ﴿وَسئَلِ الْقَرْيَةَ﴾؛ أي: اسأل أهل القرية.

٥ - من حيث الحكم من دون اللفظ.

مثل إضافة أسماء الزمان لما لا يحتمل الكسرة: أتيتك زمن زيد أمير، وأتيتك يوم قام زيد.



وهذا ما اعتنى به النحو العربي في تبويبه وتفصيلاته .

## ٢ - الاتجاه الثاني : الاتجاه الألسني الراض لمعطيات النحو العربي :

وفيها النقاط التالية :

- ١ - الألسنية فككت النظام النحوي وأعدت بناءه على إسقاطات خارجية عن طبيعة اللغة في مبادئ النماذج الركنية، والتوليدية والتحويلية، وكتل لغوية، وسمات ذاتية وفرضية التركيب الأساسي الفلمورية .
  - ٢ - الرفض لمعطيات النحو: هدم الأسس التي أقام النحو عليها بناءه، وأنكر أن تكون الحركات دوال على معان، ولا تخضع اللغة للقيود .
  - ٣ - بيّن الباحث أن الألسنية والرفض لمعطيات النحو العربي تمرد على الموروث واعتباره مرحلة تاريخية تجاوزها الزمن، والبديل عند الألسنية النظريات الغربية .
- أما الراض لمعطيات النحو، فقد عجز عن إقامة منظومة جديدة .  
وفيه النقاط التالية :

التحليل الشكلي : أهم مبادئه :

- ١ - الأنموذج الركني : يندرج تحت هذا الأنموذج التحليل إلى المؤلفات المباشرة .
- ٢ - مؤلفات الجملة : جملة ركن إسناد + ركن التكملة ركن الإسناد ركن فعلي + ركن اسمي + ركن اسمي + ركن حرفي ركن التكملة : ركن حرفي لا يرتبط بصورة مباشرة بالفعل، وإنما تعود مباشرته إلى الجملة مجتمعة .
- ٣ - الركن الفعلي : زمن + فعل .
- ٤ - الركن الاسمي : يُجرد التراكيب من وظائفها ويقوم بوصف مؤلفاتها وتقسيمها إلى فئات كلامية، ويكتفى بوصف الجملة الاسمية .
- ٥ - ترتيب المؤلفات الكلامية .

٦ - القواعد الركنية.

٧ - الأنموذج التوليدي والتحويلي.

٨ - الكتل اللغوية.

٩ - السمات الذاتية.

والهدف من إيجاد التحليل الشكلي:

١ - تقليل عدد المكونات اللغوية.

٢ - تقليل عدد القوانين الباطنية التحويلية.

٣ - دمج القوانين مما يجعل القواعد أبسط وأشمل.

ولا يخفى على الباحث مدى التلازم بين الشكل والمضمون في الوظائف النحوية؛ لأن الجملة العربية تسير وفق قطبين متجاذبين في ظاهرة تلازمية بين اللفظ والمعنى، ولا تخضع لما أسقط عليها، وكان خارجاً عن طبيعتها، ولذلك جاء نظامها مستنتجاً من صميم المستعمل منها، فلم يقف وصفها عند الأبعاد الشكلية لتراكيبها، بل ضم إلى ذلك ما دق من أسرارها بخلاف التحليل الشكلي المُستمد عناصره الأول من الحس، والتجربة، والوقوف عند الوصف البياني.

فتوزيع الجملة إلى مؤلفات كلامية قاصر عن تفسير ما اشتمل عليه التركيب من وظائف كاشفة للمعنى، وخارج عما ارتضته طبيعة اللغة نظاماً لها؛ لأن لكل لغة معطيات لتفسير معنى التراكيب، وإخضاع اللغة للعملية الكيميائية والنتائج الفيزيائية أمر لا يتناسب واللغة العربية، حيث يتم التعامل فيها من خلال ما تطرحه من جمل كلامية، أما تتبع أوصاف التراكيب الباطنية لكل تراكيب ظاهرة فهو لا يخدم المستعمل للغة من حيث إفادة المعنى المقصود، والذي أدى إلى التناقض لوضعي الفرضيات التحويلية هو أن العربية غير خاضعة لما تخضع له العلوم التطبيقية والتجريبية، ولذلك جاءت القواعد الركنية أجساداً بلا روح، حيث أهملت في ضوئها الوظائف المحددة لخصوصية كل تركيب والمنبئة عن المعاني المقصودة، وإنما هي متوقفة على

الوصف البنائي، ومن المعلوم أن جمل اللغة العربية يرتبط بعضها ببعض بصورة وثيقة، لا يمكن لهذه القواعد تبيان الصلة القائمة بينها، حيث اكتفى الألسنيون ببيان أن الجملة تمر ببُنيتين هما: العميقة والسطحية وفق المكون التوليدي والتحويلي، اختلافاً في البنية والمعنى واحد، وتجاهلوا أن كل جملة في العربية مرتبطة بمعنى خاص بها، وفي ضوئه تتحدد وظائف كلماتها، ولذلك تجد وراء كل تركيب مغزى يقصده المتكلم.

### النمط الأحادي:

- فاعل + مفعول + مفعول به مباشر + مالك + فضلة + ملحق.
- فعل + فاعل + مفعول + ص.
- فاعل + مفعول + حرف جر + مفعول به + ملحق.
- منادى + مبتدأ + أداة صدر + محور + بؤرة + فعل + فاعل + مفعول + صفة + ذيل.
- منادى + مبتدأ + أداة صدر + فاعل + م ص، م س، م ح، م ظ + مفعول + صفة + ذيل.
- منادى + مبتدأ + صدر + محور + رابط + فا + م ص، م س، م ح، م ظ + مف + صفة + ذيل.
- فرضية التركيب الأساسي من خلال النظرية الفلمورية.

بعد التحليل واختبار وظائف النمط الأحادي كشفت الدراسة أن هذا النمط يلغي الجمل الاسمية وما اختصت به العربية عن غيرها، وإخضاعها لنظام غيرها تعسف مسقط على نظامها، وبالتالي سيؤدي إلى إسقاط المستعمل وما استودعته نصوصها، وللخروج بالعربية عن مألوفها النظامي تجلت أهداف الألسنين في الأمور التالية:

- ١ - إلغاء التقسيم الثنائي للجملة العربية.
- ٢ - تقسيم الفضلات إلى قسمين.
- ٣ - شرطية التوافق بين المحمول وموضوعاته.

٤ - اختصار الوظائف النحوية إلى :

أ - تركيبية، ب - أدوار وظيفية، ج - تداولية.

٥ - تطبيق فرضية التركيب الأساسي (الفلمورية).

٦ - إلغاء الحالات التفسيرية لوظائف العربية.

٧ - اختصار الحالات التجريدية.

ولذلك فالألسنة ما هي إلا دراسة للغة دراسة أفقية ومجردة من الدراسة الرأسية والاستعمال اللغوي خاضع للنوعين؛ لأنه لا يغني أحدهما عن الآخر.

### المنهج الوصفي:

يعتمد هذا المنهج على المادة اللغوية المنطوقة وقطع الصلة بين اللغة الموصوفة والقواعد التقليدية القديمة.

### ٣ - الاتجاه التعليمي:

وفيه المباحث التالية:

- اصطناع صعوبة تعلم قواعد اللغة العربية:

بيّنت الدراسة أن الهدف الحقيقي وراء دعوات التجديد في الاتجاه التعليمي ليس مقصوداً لذاته، بل وسيلة، والغاية التمرد على التاريخ والوصول إلى (اللاتاريخ) تاريخية شارفت على نهايتها لكي نبدأ المرحلة التالية لها، وهي الوصول إلى المرحلة العقلية كما فعلت مركزية النهضة الحديثة (أوروبا).

### تصنيف النحو:

اتخذ أصحاب الاتجاه التعليمي التسهيل مطية لخدمة أغراضهم ومقاصدهم لعلمهم الأكيد أن الأرض الخصبة لاستنبات المشكلات الفكرية هي التعليم، حيث حاول أن يبدأ التفكيك ثم إعادة البناء، وهو اتجاه أخطر على الأمة من الأسلحة الفتاكة، حيث أقيم تصنيف النحو على أساس (منهج تفكيكي بنوي) في استجابته لما يفرضه التعليم المدني من محاولة الفصل بين المتلازمات في حياة الأمة، وكان الغرض الثورة على كل قديم في منهجية

تعلن القطيعة بين الأجيال وتاريخها وتستهدف الأمور التالية:  
أولاً: إلغاء القضايا التفسيرية التي بها تحفظ اللغة في نظامها ومنها  
العامل.

ثانياً: إلغاء التقسيم الثنائي للجملية وإقامة نظام أحادي يلغي تسمية  
الجملية بحسب صدرها.

ثالثاً: عدم الاهتمام بالتفصيلات التي عُنِي بها النحو العربي.

رابعاً: الثورة على البناء النحوي الذي تشكل وفق تفكير عقلي موافق  
للاستعمال<sup>(١)</sup>.

---

(١) لمزيد من متابعة هذه الاتجاهات ومناقشتها بالأدلة والأمثلة التوضيحية يُرجى الاطلاع على: كتاب  
الباحث بعنوان: اتجاهات تجديد النحو عند المحدثين.



## خاتمة

هذه اضاءة حول قضية تُعد من أبرز القضايا في الدراسات اللغوية في العصر الحديث وهي ثورة، وانعطاف في تاريخ الدرس اللغوي العربي تسمت بالتجديد وكان الباعث لها أمور أهمها:

● فَقَدْ الثقة عند المنظرين في المرجعية العلمية، وحاولوا التماسها عند الآخر، معتمدين على نموذجهم وفق مناهجه وسياقاتها وما يفرضه مناخها الفكري آخذين في الاعتبار أنه لا بناء إلا بعد هدم بطرق شتى أنجحها مبدأ الإلغاء حيث اتخذ طريقة التدرج بالاعتماد على زلزلة الفكرة للوصول الى هدم العلم المراد تجديده مع استشعار صعوبة سلوك هذا الطريق ولذلك، بذلوا الجهد لإخراج أفكارهم في صور مقبولة، فَوَصِمَ النحو العربي بأنه ينحو منحى لفظياً مقصياً المعنى وأن في منهجه خللاً لقيامه على تعدد مكاني وامتداد زماني، وامتداداً لهذا التدرج توصلوا إلى تشكيك جيل الدارسين في مسلمات متوارثة وعلى رأسها قاعدة الهرم في التأسيس العلمي هي الأصول التكوينية، وانسحب ذلك على الاصول التفسيرية مما ولّد الإحساس بأن هذه الأمة تعيش على هامش الحضارة وطريق نهضتها إعادة بناء على نموذج حضاري له حضور مائل.

● دلت المنظرون على تقدمهم للتراث بمناهج مغرسها في الغرب وميدانها اللغات الأوروبية بدأ بالمنهج المقارن والتطوري للبرهنة على أن اللهجات ليست انحرافاً وإنما هي تطور نظراً لمبدأ المختلف والمتفق في بعض البنى

الصوتية والصرفي والنحوية والمعجمية وفق نظرية أصل الأنواع، في ضوء ذلك ظهرت خرافة مراحل تكوين اللغة للوصول إلى نقض نظام اللغة وتمهيداً للمنهج الوصفي الآني لتبدأ نقطة القطيعة مع الماضي وعدم الاهتمام بالمستقبل وإلغاء القيود والضوابط وإسقاط مرجعية النص ليصبح دالاً بلا مدلول.

• تعددت مشارب المجددين، وبناء عليه نرى أن اختلاف النظرة الفكرية للظواهر أوقع تنظيرهم على طرفي نقيض وتشكلت نقطة التحول في التفكير اللساني وفق نزعات مختلفة: مادية، وعقلية، وطبيعية، وديالكتيكية، والبقاء للأصلح كل ذلك انعكس على اللغة باعتبارها نسقاً خفياً ونظاماً من أنظمة العلامات يُركز فيها على الجانب الذهني منها؛ أي: باعتبارها مركباً من صورة ذهنية وصورة سمعية، أو من بناء داخل (كفاءة) وبناء مجسد (أداء)، هذا الاختلاف في النظرة والتعدد المنهجي بسياقاته الفلسفية والاجرائية أسقط في غير مجاله وكانت نتيجة ممارسته اضطراباً وفوضى في العملية التفسيرية؛ لأن سياق النظريات مر بمراحل مختلفة في الزمان عن منظرها واجتمعت زماناً ومكاناً عند المجددين مما أدى إلى تشتيت التفكير والجهد.

• تغييب السياقات الإجرائية للأجهزة المفاهيمية أدى إلى موازنة بين لغات تختلف معطياتها؛ فاللغات الغربية تتصف بالتغير لعدم وجود تراث مكتوب يشكل مرجعية، ويختلف الأمر بالنسبة للغة العربية لاتصافها بثبات في جانبها الوظيفي والصوتي وتغير في جانبها الدلالي والاشتقائي، وامتلاكها تراثاً مكتوباً يشكل مرجعية.

• حركات التجديد هدمت وعجزت عن تقديم البديل، وحاسبت الموروث بمعطيات المناهج الحديثة واكتفت بالتشكيك في العلوم العربية، وتبنت المنهج التوفيقي لتساهم في مشروع نهاية التاريخ بالتوجه إلى نقض البناء من الداخل وتكوين جيل بلا هوية مشكك في مسلماته ليسهل تراجعها وتنازله عنها في مجال حوار الثقافات.



## مقترحات

توجيه البحوث العلمية إلى مخرجات عصر النهضة الحديث في شتى فروع المعرفة، وفي اتجاهاته التي سار عليها، ومحاولة دراسة المخرجات الثقافية وتقويمها وكشف الإسقاطات الفكرية التي سُلطت على منطلقات الثقافة العربية.

مع الأخذ في الاعتبار أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بالعودة إلى ما كان عليه سلفها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،  
وصلّى الله وسلّم على أشرف الأنبياء والمرسلين